

سار وحده في موكب الحرمان : يهتف للآفة الحائرة ، وبصق للزفرة المحرقة ، ويسود آخر الأصر وملء نفسه أشلاء آمال ...  
وأما حياته ، فياسوء ما أصبحت ، لقد أصبحت أغياساً من وهج اللوعة ، وفنوناً من عبقرية الألم ، وخربناً لا يعرف طعم الربيع إلا من أفواه الناس !

كثفت هذه السكامة منذ عام في مجلة « الأدب » اللبنانية ، ثم تلقيت عقب نشرها بضع رسائل من هنا وهناك ، بعضها يدور حول كلمتين : « من هو ؟ » و « من هي ؟ » ... بينما يدور بعضها الآخر حول التوكيد بأن بطل هذه القصة القصيرة هي فتيدة الفن « اسمهان » ، ولكن من هو بطل القصة ؟ ...

وأما اليوم أريد نشر هذه السكامة تقييماً على ما يكتبه الأستاذ الناسي عن ذكرياته حول هذه الفنانة في « آخر ساعة » ، ولأقول لمن كتبوا إل مستغربين أن « هي » التي أشرت إليها لم تكن إلا الطرية « اسمهان » ... أما « هو » ، فليس واحداً من أولئك الذين عرف الناس قصة سلاتهم بها ، ولا أعتقد أن واحداً منهم يعلم شيئاً عن هذا الترام الناسف الذي جمع بين قلبها وقلبه ، وغلف قصة الفلين بخلاف من الصمت والسكتان !

وكم كنت أود أن أذيع قصتها على الناس من رسائلها إليه ، ذلك الإنسان الذي لا يعرفه أحد . ولكنه من أسرة ... وفي بيته زوجة ونية عزيزة عليه ، وأبناء سفار أحباء إلى قلبه !

### إبراهيم عظيم :

قرأت لصديقي الأستاذ علي آدم كلمة قيمة في « الثقافة » عن الألم والإيمان في حياة الشاعر الألماني هنريك هايني ، وقد استوقفتني فيها ذلك الحوار الرائع بين هايني الشاعر وإمانويل نخت الذيلسوف ، حول حقيقة الله بين الوجود والعدم ، أو بين الإيجاب والإينكار ... قال هايني لغخت<sup>(١)</sup> :

— « قل لي يا أستاذ بصراحة : هل أعتقد بالحياة الأخرى ؟ وهل تؤمن بأن الروح خالدة ؟ وأجاب لغت في تودة ووقار :  
— إن أعتقد بـ... ود عالم الأفكار غير المنظور .

— ولكنك لا تصدق بوجود إله ... إله هي قيوم ؟ فأجاب الأستاذ في غير تردد وقد هز رأسه : لا أصدق به ! فأرخى هايني جفنه الشلول ، وارتمى على وسادته ، ولاذ بالصمت »  
ثم استأنف الصديقان حديثهما مرة أخرى حول وجود الله

(١) ما بين الأقواس للأستاذ علي آدم .

# تقييات

## للأستاذ أنور المعداوي

### مركب الحرمان :

كان لقلبه في محراب قلبها صلوات ... وفي محراب قلبها كم صلت قلوب ، ولكني لا أعرف قلباً أطال السجود مثل قلبه ! كان يقدمها وهي ترسل الذم فينصت الوجود ، يوم كان في أنفاسها أنين وحنين ، وفي الحانها تيريج وتسييح ... وكانت حين تفتي له وتفتي نفسها في غنائها ، أشبه براهبة متمبدة ، نددت من دموعها صفحات الكتاب المقدس ! وأقام لها في معرض الفكر صوراً فانتات ، وحشد لها الخيال يدها بكل ما في إبداعه من ألوان وظلال كانت إنسانة ، وكانت فنانة ، وخيل إليه يوماً أنها سميت بفتحها وإنسانيتها إلى الحد الذي تشرعده السكالات بأنها في حاجة إلى عون الوحي والإلهام ... وكانت قصة هواها أنشودة حلوة : يمثلها لم يحط في الفن يوماً وتر ، ولم يشهد يوماً في البه ملاح ، كلا . ولم يسمع ثرياع ... وأسطورة عذبة : يمثلها لم يحط في الوم يوماً خيال ، ولم يصدق في اليد يوماً رعاة ، كلا . ولم يكتب براع ! وكان سبب القديسة يعلأ النفوس رهبة ورحمة وحناناً ... كان الترتيل يهز جوانبه بين حين وحين ، فتهتم الشاعر ، وتتماق الأنفاس ، وتهوم الأرواح ... وكانت أغانيها نشوة الشعور في موكب الأفراح ، وفرحة القلوب في عرس الحياة !

وفي وسعة البرق لها الليل ، فقد كل شيء ... معبد القديسة ؟ لقد خيم في جنباته الصمت وشاع السكون ! معرض فكره وصوره الفاتنات ؟ لقد عمت ريشة القدر كل ما فيها من ألوان وظلال ... وما هوذا النبع قد جف ، والزهر قد ذبل ، والمطر قد ذهب إلى غير ساد ! لقد لغت مصرعها في حادث لا يزال يذكره الناس ، وذهبت بأحلامها وأحلامه إلى هناك ، إلى وادي العدم ... والليل الحبيب الذي يارك أمسياتهما لا يزال يجرى ، والقمر الساحر الذي رمى حجماً لا يزال يترج ، والليل الساكن الذي كتم سرهما لا يزال يقبل كلنا ولي نهار !

أما هو ، فياسوء ما فعلت به بعدها الأيام ! لقد طوى القلب على أحلامه ، وعاش من بعده على أطلال الذكريات ... ولقد

الثانية لم يكن شيئاً مذكوراً يلفت النظر ويثير الاهتمام ، ولكنه الآن يحتل مكانه في الطلبة من كتاب فرنسا الأحياء ، ويكاد يجدد الأدبي ينطلي على أجدادهم جميعاً عن جدارة واستحقاقه !

أما شخصيته الأدبية ، فتتمثل في تمدد ملكاته ومواهبه .. إنه كاتب تراجم فذ لا يلحق به ، وكتابه الذي أخرجه من « بوليفر » بعد في رأي القن خير كتاب أخرج في موضوعه ، منذ أن احتل أدب التراجم مكانه إلى جانب الفنون الأدبية الأخرى. وله في ميدان النقد الأدبي نظرية جديدة لا أحسب أن أحداً قد سبقه إليها ؛ وهي نظرية تنادي بأن الأدب صورة الفاعل لا الصورة البينة كما يقول « تين » ... وهو بعد ذلك كاتب مسرحي ينفذ المسرح الفرنسي من وقت إلى آخر بإنتاجه الفريد المتميز !

في هذه الأشياء كلها كنت أحدث مع الدكتور طه حسين ، ولقد قال الدكتور فيما قال : إنه يخشى على مجد سارتر الأدبي بسبب ميله إلى السهولة فيما يكتب في هذه الأيام ، وأنه لم يرض عن مسرحيته الأخيرة « الأيدي القنطرة » يوم أن شاهداً تمثل في أحد المسارح الباريسية .

وأعقب على هذه اللفتة فأناضل : ترى لو نظرنا إلى مجد سارتر الأدبي هذه النظرة بسبب ميله اليوم إلى السهولة فيما يكتب فكيف تكون نظرنا إلى هؤلاء الذين يكتبون اليوم في مصر ، ولا يهتمهم ملء الفراغ الروحي القوي تحسه الجماهير بقدر ما يهتمهم ملء الفراغ الذي تحسه أعمدة الصحف والمجلات ؟ ... إن أخطر الخطر على الكاتب أن يظن أنه قد بلغ أوج الشهرة ووقته المجد ، والأشهر عليه من الوقوف على المنحرف دون التفتل إلى الأسماع ، وهذا هو ما يلقاه المتحاشون إلى المرفة في هذه الأيام حين يتراون لبعض كبار الكتاب فلا يخرجون بشيء .

إن المسألة عند سارتر ضرب من الميل إلى السهولة ، ولكنها عندنا ضرب من الاستهانة بالقيم والأذواق !

عديت الدكتور طه حسين بك في ( بيروت للساء ) :

في مكان آخر من « الرسالة » نقرأ الكلمة التي بحث بها إليها الدكتور طه حسين بك ، والتي نفي فيها ذلك الحديث الذي نسبته إليه جريدة « بيروت للساء » اللبنانية حول الشاعرين : علي محمود طه ، وهرم أبو ريشة ؛ ويسرف كما يسر الذين ينشدون حقائق الأمور أن يبادر الدكتور الفاضل بتكذيب ما نشر منسوباً إليه ، وأن يكون رأيه في الشاعر المصري منذ أيام هو رأيه فيه منذ سنين ، دون أن يفرض من قيمة هذا الرأي أخطاء محمودة أو

وكانت دهشة الفيلسوف بالنتيجة حين رأى الشاعر وقد تحول من بزعة الإلهاد التي عصفت بمقيدته ردحاً من الزمن ، إلى نزعة إيمان عميق تنقلت في فجاج روحه ، تحت وطأة مرضى طويل أزمه الفراش وورث به آلامه ! وهنا قال هاينس :

« إنني في حاجة إلى الله ، في الليل حيناً تأري زوجتي إلى قرأتها أشعر بالوحدة ، وينفر من النوم ، وأظن أنقلب في الفراش وأتحول من جنب إلى جنب ، وينشئ جسمي الألم ويدب به من الرأس إلى القدم ، وفي كل لحظة أعتقد أن نهايتي قد دنت وحانت مني ... وفي مثل تلك اللحظات يؤنس وحشتي أن أفكر في أن هناك في السموات - أو في أي مكان آخر - من استطاع أن ألبأ إليه في كربتي وضائقتي ، ومن أهتمه وأدبته وأثق عليه التوبة ... » ولعل هذه الكلمات الأخيرة هي وحدها التي تركت أثرها العميق في نفسي وحسني . إن فيها دقائق هائلة من حرارة الشعور في القلب الإنساني ؛ الشعور الذي تبتلع أمامه أنوار الحقيقة والإيمان في لحظات الشدة والضيق وحيرة الرجاء ، هناك حيث يتجه الضمءاء بقلوبهم إلى رحاب الله ينشدون العون ، حين يزر النصير على أرض البشر ! إنها ليست كلمات ، بل أمات . هتكت سثار للصبر والجلد ، وتركت مكانها من حنايا الصلوع وشغاف القلب ، وخرجت إلى الناس تروي لهم قصة الألم والإيمان !

إنه هاينس الإنسان ... هاينس الذي هتف مرة في غمرة من غمرات عذابه : إن أنتسب بعد اليوم إلى الملحددين والمجاهدين ، لقد أصبحت أؤمن بأن أوائل الأشياء وأواخرها هي في الله !

مع الدكتور طه حسين :

كنت أحدث منذ شهرين مع الدكتور طه حسين بك عن الكتاب والفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر ، وكان بدء الحديث سؤالاً مني للدكتور عما إذا كان قد اتق سارتر في خلال تلك الفترة التي تضيبت فيها عن مصر ليفضها في فرنسا ، ثم تطرق الحديث بعد ذلك إلى شخصية سارتر الأدبية والفلسفية ، وإلى حقيقة المكان الذي يشغله في الأدب الفرنسي المعاصر .

وسارتر - كما لا بد أن يعرف المتنبسون لأخباره من القراء - فيلسوف وجودي ملحد ، أصدر البابا أسماً بمنح دخول كتبه الفلسفية إلى مدينة الفاتيكان لما فيها من إنكار صافر لوجود الله ! وهو بعد ذلك أديب ارتقى سلم المجد الأدبي في رتبة واحدة بدلا من ارتفاعه في وثبات ؛ ومن العجيب أنه إلى ما قبيل الحرب العالمية

أر معاملة الظير للظير ؟ إن هذا النظار الذي ينظر المقاد من خلاله إلى مدن النفوس وجوه القلوب ، يحمل من الرحمة الحميدة ضرباً من التعاطف والكبرياء ، وهذا ما نزهه عنه كمال الإنسانية في هذا الإنسان العظيم !

أما تليق على قول الأستاذ العقاد بأن العبي لا يكون رجلاً عظيماً وكفى ، بل لا بد أن يكون إنساناً عظيماً ، فلم أقصد من ورائه إلى أن العقاد قد نقى الإنسانية عن عمد قبل أن يكون نبياً كما فهم الأستاذ عماد ... وإنما تصدت إلى أن اشتراط الإنسانية لنبوة محمد أمر لا دأى لإنباته ، لأن محمداً كان إنساناً بأدق معاني الكلمة قبل أن يبعث رسولاً إلى الناس ! ولم يحدث أنني قصرت إنسانية محمد على الرحمة كما يتباطأ الأستاذ عماد ، ولكنني قصرتها على لحظات « الضمف الإنساني » ... وتحت هذه الملاحظات يمكن أن تندرج الرحمة وما يعانها من شتى الفضائل والصفات . ولذا ، فلا مجرد قوله بأن حديث العقاد عن إنسانية محمد كان أشمل وأعم !

تحية الأورب للرسالة :

كتبت مجلة « الأدب » اللبنانية في عددها الأخير ما يلي :  
« لاحظنا كما لاحظ معنا كثيرون — والملاحظة تؤلم — فية مجلة « الرسالة » عن مرض الكتاب في مدينة اليونكو في الوقت الذي رأينا فيه عشرات المجلات التي لا ترتفع إلى مكانة « الرسالة » فكراً وقدراً تحتل صدر الجناح المصري ، عرضة لأنظار مفكري العالم ... حرام أن يسطع حق مجلة قادت ولا تزال تقود الرأي والفكر في العالم العربي ست عشرة سنة ! بينما يفسح لغيرها ممن لا يعرف لها في التوجيه أو الأدب أو العلم أي سبيل يذكر ! نحن نفهم أن يمنع عرض مجلة « الأدب » في الجناح اللبناني — بينما تعرض بعض الورقيات الصفراء — لأن الأدب كانت وما تزال تقاوم في هذا البلد لرسالتها التوجيهية السامية ، وقد عرف هذا البلد « السيد » بأنه مقبرة لأبنائه الخاملين الناهيين ... ولكن أن يهمل عرض « الرسالة » في الجناح المصري ، فهذا موضع دهشنا ! »

هذه الفتنة الكريمة من الريلة اللبنانية ، وهذه التحية المادقة ، نستحقان من أسرة « الرسالة » كل ثناء وتقدير . أما التصيب على هذا الأمر الذي يثير الدهشة والجب ، فنسفر له مكاناً خاصاً في العدد المقبل إن شاء الله !

أكرم المعراوي

لثوية يقع فيها الشاعر ، وما أكثر ما يغطي الشعراء والكتاب الماصرون في العربية كما يقول الدكتور طه حسين !

أما حديث الدكتور عن الشاعر على طه في الجزء الثالث من « حديث الأرباء » ، فقد اطامت عليه منذ أمد بعيد ، وما زلت أذكر كل ناحية من نواحيه في مجال الإشادة بحسنات الشاعر والإشارة إلى سيئاته ، وأسل ما كتبه الدكتور في « حديث الأرباء » هو التي أثار دهشتي عند ما وقعت على حديثه الذي نسبته إليه الصحيفة اللبنانية ، لأن الفارق بين رأيه اليوم في الشاعر ورأيه بالأمس فارق بعيد !

وإذا كان أديبنا الكبير قد بدر فذكر في كلمته أن شيئاً مما نسب إليه لم يحدث أن أنضى به إلى « بيروت المساء » ، فإني أبدر بتوجيه الشكر إليه خالصاً من الأعماق ، وأشكره مرة أخرى على هذه التحية الكريمة التي تفضل بنفسى بها في ثنايا كلمته ؛ أما دفاعي عن الشاعر على طه ، فهو دفاع عما أعتقد أنه الحق ... ولينق الدكتور طه أن له في نفسى مكاناً يستحقه رجل له في حساب الشهور أكرم الذكريات ...

عبقرية محمد الإنسانية :

تحت هذا العنوان كتبت في عدد « الرسالة » الهجري « مقالا خالفت فيه الأستاذ العقاد في طبيعة نظرتي إلى شخصية محمد الإنسانية ؛ وأعتقد أنني أوضحت جوهر الخلاف إيضاحاً لا يحتاج مني إلى أكثر مما أوردت من تفصيل ، كما لا يحتاج من غيري إلى تعقيب ... ولكن الأستاذ محمد محمود عماد يعقب على ما كتبت في عدد « الرسالة » الماضي بكلمة مجيبة تبعد كل البعد عن الأفق الذي أدرت فيه حديثي عن محمد الإنسان !

إن جوهر الخلاف بيني وبين الأستاذ العقاد هو أنه يزف إنسانية محمد بميزان المقامة النسبية ، بينما أزنها أنا بميزان اللحظة النادرة من لحظات « الضمف الإنساني » ... فوقف الرسول من عبد الله بن أبي ، أو من هبار بن الأسود ، هذا الموقف الذي يرمز مثيله على الأثران والنظراء ، ينظر إليه المقاد من زاوية تطبق — كما قلت — على الرجل العظيم ، لا على الإنسان العظيم ، لأن محمداً في أمثال هذه المواقف — كما يرى العقاد — أكبر من أن يلقى الأمور لقاء الأنداد ، وأمذر من أن يلقاها لقاء القضاة !

هل كان الرسول حين نزل عبد الله بن أبي بالصفح والرحمة والشفقة ، ينظر إليه على أنه أهون من أن يعامله معاملة الند للند ،